نمو الوعي السياسي للشباب العربي

تقول الباحثة المغربية هاجر لمفضلي إنّ الثورات والحركات الاجتماعية التي شهدها الشارع العربي تُشكّل أهم الأحداث التي طبعت تاريخ الزّمن الراهن، لما لها من تأثير بارز في تغيير موازين القوى في المنطقة، وقد أثارت هذه الأحداث انتباه وفضول الباحثين في مجال السوسيولوجيا العرب وغير العرب من المهتمين بالشأن العربي.

وتوضح الباحثة المتخصصة في السوسيولوجيا، أنّ «الربيع العربي» كان حدثاً غير متوقع بالنسبة إلى الكثير من الدارسين، تجاوز كل التوقعات باعتبار المواطن العربي كان يميل، دائماً، إلى الاستقرار وعدم المجازفة بمواجهة الأنظمة الحاكمة. ومن جهة أخرى، فإنّ الدراسات السوسيولوجية التي كانت تحاول تتبع سيرورة التغيرات والتحولات الاجتماعية لم تقدم، وفق لمفضلي، أي احتمالات حول إمكانية انفجار الشارع العربي، فكانت بمثابة فرصة لإعادة قراءة الواقع المجتمعي من جديد، لا سيما أنّ هذه الأحداث ساهمت في بروز معطيات جديدة تتمثل في دور الوسائط التكنولوجية في تشكل الرأي العام، والتي شكلت الشرارة الأولى التي انطلقت منها هذه الثورات وكان لها الفضل في تأطير الشباب.

وتردف الباحثة المغربية أنّ الثورات العربية شكلت مجالاً خصباً للدراسة من طرف رواد السوسيولوجيا، فبرزت العديد من الدراسات والأبحاث التي أغنت المكتبة العربية، رغم أنّ الجزء الأكبر من البحوث المنجزة في هذا المجال، ذات الطابع الإمبريقي، لم يرَ النور، وفق لمفضلي التي تعزو ذلك إلى أنّها دراسات أنجزت في إطار بحوث خاصة لفائدة بعض الجهات المعينة، أو في إطار بحوث التخرج من الماجستير أو الدكتوراه، وبالتالي لم يتسنَّ الاستفادة من نتائجها بالشكل المرجوّ.

وعن طبيعة تلك الدراسات تقول الباحثة، إنّ معظمها حاولت فهم هذه «الثورات»، وتفكيك الواقع الاجتماعي الذي أفرزها وتحليل السلوك السياسي للأفراد، من أجل تقديم قراءات قادرة على استشراف المستقبل، وركزت بعض الدراسات على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للشعوب العربية المتمثلة في: الفقر والبطالة وغلاء المعيشة، في حين تتبّعت أخرى نمو الوعي السياسي للشباب العربي الذي لم يعد يقبل باستبداد الأنظمة واحتكار الثروة من طرف فئة قليلة. وبالتالي، فالحلّ يكمن في ضرورة إجراء إصلاحات شاملة والبحث عن نموذج تنموي قادر على استيعاب مختلف التغيرات الاجتماعية.

وعلى العموم، ترى لمفضلي أنّ الساحة العلمية في مجال السوسيولوجيا، ماتزال تفتقر إلى إطار نظري قوي يتيح إمكانية الفهم، وتنوّه إلى أنّ دراسة هذه الأحداث، لا يمكن أن تكون بشكل رصين وفعّال، إلا إذا تمت مقاربتها بشكل ميكروسوسيولوجي، وتم اعتماد مناهج سوسيولوجية غير كلاسيكية، تنفتح على علوم أخرى.

هاجر لمفضلي
(باحثة من المغرب)

ما تزال الساحة العلمية في مجال السّوسيولوجيا تفتقر إلى إطار نظري قويّ يتيح إمكانية الفهم